**الشعر العذريُّ والشعر العمريُّ**

**مفهُوم الشعر (الغزل )العُذري:**

1. لُغةً:

العُذر: **الحُجّة التي يُعتذر بها للخُروج من الذّنب.**

اعتذار المنازل: **دُروسها واندثارها.** وتعذّر الأمر: **عدم استقامته، صُعوبته.** والعُذرة: **البكارة؛ بِكْرُ لم يمسّها رجُل. ويُقالُ مجازاً: "أرضٌ عذراءٌ" لم تطأها قدمٌ.** وعُذْرة: **قبيلة يمنية من بني قضاعة اشتهروا بالعِشقِ والعِفّة، وإليهِم يُنسب الهوى العُذريُّ، فقد ورد في المُعجم الوسيط "هوى عُذري: عفيف، نسبةً إلى بني عُذرة، لاشتهارهم به".**

**وقد كانت منازل بني عُذرة بوادي القُرى شمال شرقيّ المدينة المُنوّرة، والذي كان مسرحاً لقصّة حُبّ جميل لبُثينة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا ليتَ شِعري هَلْ أبيتنّ ليلةً |  | بوادى القُرى إنِّي إِذنْ لَسَعِيدُ |

1. اصطلاحاً:

**قضيّة الغزل العُذري ترتبط بموضوع "الحُب" الذي تعدّدت تعريفاتهُ وتشعبّت عند الأُدباء والباحثين، إلاّ أنّهُم يرون بالإِجماع أنّ أهمّ مزيّة فيه هي صفة العِفّة، فابن داود الظاهري عقد فصلاً من كتابه "الزهرة" للحُبّ العُذري عُنوانه "من كان ظريفاً فليكُن عفيفاً"، بيّن فيه أنّ العِفّة هي التي تعمل على صوْنِ الحُبّ وتخليده، ويُعرِّفه ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة": "استحسان روحاني وامتزاج نفساني".**

**ومن المُحدثين نجِدُ يُوسف خليف يُعرِّفه بقوله: "حُبّ روحي عفيف طاهر، لا سُلطان لشهوات الجسد، أو نوازع الغريزة عليه". (أُنظر: الحُبّ المثالي عند العرب، يوسف خليف).**

**ويقُول عنه موسى سُليمان أنّه "حُبٌّ يُؤدِّي بصاحبه إلى الهُزال والاصفرار والنُّحول ثُمّ الموت، وهُو حُبٌّ طاهر، لا يعترف بحقّ الجسد وشهواته وتمتُّعه بملذات الحُب". (الحُبّ العُذري، موسى سليمان).**

**وقال سعيد بن عقبة لأعرابي: "ممّن الرّجُل؟ قال من قومٍ إذا عشقوا ماتوا، قال: عُذريٌّ وربِّ الكعبة، فقُلت له: ومِمَّ ذاك؟ قال: في نسائنا صَباحةٌ وفي رِجالنا عِفّة". (أُنظر: ابن قيِّم الجوزية: روضة المُحبين ونُزهة المُشتاقين).**

**ويُؤكِّد القول الأخير بيتٌ جميل:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبيتُ مع الهُلّاكِ ضَيْفاً لأهلِها |  | وأهْلي قَرِيبٌ موسِعُون ذوو فَضْلِ |

1. بدايات الحُبّ العُذري:

**تعُود جُذُور الغزل العُذري الذي شاع في بوادي الحِجاز أثناء الفترة الأموية إلى عُصورٍ سابقةٍ عليه، عِنْدَ مَا يُعرفُ بالشُّعراء "المُتيّمين"، وقد تشابهت قصصُ عِشق هؤلاء، إذْ غالباً ما تبدُو في صُورةِ شابٍ من فِتيان الباديةِ يُحِبُّ ابنة عمِّه في أكثرِ الأحيان، وقد يُحبُّ فتاةً من غير قبيلتهِ أحياناً أُخرى، ثُمّ يخطِبُها إلى أهلِها، فيرفُضون تزويجها مِنهُ لفقرِهِ أو لاشتِهار حُبِّه لها، وقد يتحقّق للعاشقين أملُهُما في الزّواج، ولكنّهُما لا يلبثان أن يفترقا بسبب بعض العقبات التي تظهر فيما بعد، ثُمّ تُزوّج الفتاة من شخصٍ آخر، فيشتدُّ هيامُه بها، ويعظم وُجْدَهُ، وينتهي به الأمر إمّا بالجُنون، أو بالسُّقوط صريعاً على فِراش المرض. (يوسف خليف: الحُبّ المِثالي عند العرب).**

**ومع أنّ الغزل العُذري بدأ يبني عذرة، إلاّ أنه سُرعان ما انتشر وذاع بيت النّاس، وأصبح مذهباً في إبداع الشِّعر والرّفع من مكانة المرأة، من خلال ما تركيزه على العفّة والطُّهر والصِّدق.**

1. خصائص الشِّعر العُذري (الشّكلية والمضمونية):
2. الوحدة الموضوعية: **تستهدف قصيدة الغزل العُذري موضوعاً واحداً، فالشّاعر لا يشغله عن غزله أيّ غرضٍ آخر، وقصيدته مُستوعبة للموضوع المطروق بكلّ عناصره، على خلاف ما كان سائداً عند الجاهليين وشُعراء صدر الإسلام.**
3. استخدام الصُّور الفنية والألفاظ الدّالة على العواطف والانفعالات**، إذ نجِدُ أنّ أغلب الصُّور المُستخدمة تستمدُّ عناصرها من بيئة الشّاعر بحيواناتها وطُيورها ومظاهرها.**
4. وِحدة الحبيب: **من خصائص "الحُبّ العُذري" التعلُّق بامرأة واحدة والإخلاص لها والوفاء لذِكراها والبقاء في حضرتها والميل الكُلِّي إلى مواطِنِها، وقد يكون للتصوُّرات الدِّينية عند هؤلاء تفسيراً لذلك، والتعلُّق بهذه المرأة لا ينقطع إلاّ بالموت. لقول الشّاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آليت لا أصطفى بالحُبِّ غيركُم |  | حتّى أُغيّب تحت الرّميسِ، بالقاعِ |

1. الشّكوى والقلق: **لقد رفع شُعراء العُذرية المرأة إلى درجة "المثال"، وأداروا ظُهورهم للواقع، فتحوّلت حياتهُم إلى محطّةٍ من العذاب والقلق والشّكوى، وهي مبثوثة في جُلِّ قصائِدِهِم. يقول جميل:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لقد أورثتُ قلبي، وكان مُصحّحًا |  | بُثينةُ صَدْعًا يومَ طارَ رِدَاؤُها |
| إذا خطرت من ذِكْرِ بُثيْنةَ خَطْرَةٌ |  | عصتني شؤون العيْنِ فانهلَّ ماؤُهَا |
| فإِنْ لمْ أَزُرْها عادني الشّوقُ والهَوى |  | وَعاوَدَ قلْبِي مِن بُثينَةَ داؤُهَا |
| وكَيْف بِنفْسٍ أنتِ هيّجْتِ سُقْمَهَا |  | ويَمْنَعُ مِنْهَا يا بُثيْنَ شِفاؤُهَا |

**والشّاعر العبّاس الأحنف يذكُر أنّ للهوى جرساً يمنعُه من النّوم، ويدعُوه إلى ذِكْرِ حُبِّه وهيامِهِ كُلّما كاد يسلُوه وينساهُ، فقال:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ترى المُحِبّ لمّا يلقى يصوِّر من |  | يهوى فيشكُو إليهِ حيثُ ما جَلَسَا |
| ولِلْهَوَى جرسٌ يُدْعَى المُحبّ بِهِ |  | فَكُلّمَا كِدْتُ أُغْفَى حَرَّك الجَرَسَا |

1. الطّيف: **لقد استعان شُعراء العُذرية بصورةِ "الطّيف" للتّعويض عن غيابِ الحبيبة للتّخفيف من وطأةِ الغِياب، وحُرقة الوِجدان.**

**وعنهُ يقولُ عبد اللّطيف شرارة في كِتابِهِ (فلسفة الحُبّ عِند العرب): "كان علاقةً بين كائِنينِ إنسانيّينِ تُوجِّهُهُما على نحوٍ من الإِنماءِ صوب حياةٍ نفسيّةٍ تتّسمُ بالصّفاءِ والإخلاصِ والعِفّة والوفاء المُتبادل أية كانت الظُّروف، وتحمِلُها على التّفانِي والتّضحية، فينتقلانِ مِنها إلى قوّة روحية عجيبة، وخورٍ في الأعصابِ، ينتهي أخيراً بالموتِ أو الخبل".**

**ويُفضّل كذلك الاستشهاد في سبيلِ حُبِّه، خيرٌ له من أن يعيش في سعادةٍ روحيةٍ أُخرى والحبيب بعيدٌ عن قلبه وعن نفسه، حيث يقول:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يقولون جاهِدْ، يا جميلُ، بغزوةٍ |  | وأيُّ جِهادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ؟! |
| لِكُلِّ حديثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشةٌ |  | وكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ |

فالهوى العُذري: **"يُؤمن بوحدانِيّة الحُبّ، ويتركّزُ عِندها لا يَحُول عَنْها ولا يزول... والعُذري الحقيقي يأبى إباءً عفويّاً أن يُداخل قلبُهُ هوى آخر أو طيفُ هوى يُعكِّرُ على نفسهِ صَفَاءَ حُبِّه، ووحدانيّة عاطفتِهِ". (عبد اللّطيف شرارة، فلسفة الحُبّ عند العرب).**

1. العِفّة والطّهارة: **وهي أهمّ ميزةٍ لدى العُذريين جميعاً، فهُم يبتعِدُون عن سُوء الخُلُق والإباحية، فهُم يميلُون إلى الحياء ويُعبِّرُون عن محاسن محبُوباتِهِم بأساليب خاصّة، حيث يقول قيس بن الملوِّح:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سَقَتْنِي شَمْسٌ يُخْجِلُ البَدْرُ نُورُها |  | ويكسِفُ ضوءَ البرقِ وهُو بروق |

**ويقُول أيضاً مُعبِّراً عن ألمِ الفِراق والبُعد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإِنْ تكُ ليلى بالعِراقِ مريضةٌ |  | فإِنِّي في بَحْرِ الحَتُوفِ غريقٌ |